

من خلال دراستنا لأهم جوانب هذا الموضوع سواء في شقه المفاهيمي و النظري أو في جانبه التطبيقي، و على ضوء الإشكالية و الفرضيات التي اقترحنا البحث من خلالها لفهم و تفسير تأثير نهاية الحرب الباردة على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، تم التوصل في نهاية بحثنا إلى مجموعة من النتائج النظرية و العملية و التي نجملها فيما يلي:

- أثارت نهاية الحرب الباردة حالة من عدم التوازن و اللاستقرار الدوليين، و من أهم مظاهر هذا الاضطراب الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفيتي، و نتيجة لذلك أصبحت السياسة الخارجية الأمريكية في حالة من عدم الوضوح بسبب غياب العدو و المنافس على الساحة العالمية، و هذا بدوره ساهم - من الناحية الأكاديمية - في مزيد من البحث في هذا الحقل من أجل إيجاد سياسة خارجية أمريكية تتماشى إيجابيا و التغييرات الدولية و الإقليمية الجديدة، و قد برزت في هذا السياق ثلاث مدارس فكرية هي الواقعية و الليبرالية و المحافظة الجديدة، و قد حاولت كل مدرسة من هذه المدارس أن تفرض رؤيتها الخاصة على واقع السياسة الخارجية الأمريكية من خلال صانعي القرار و المسؤولين الذين ينتمون إليها فكريا، غير أن السياسة الخارجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة تميزت من حيث المرجعية النظرية بالتعدد من جهة، و من جهة أخرى كان صناع القرار الأمريكيين غالبا ما يتصرفون بشكل مناقض لتوجهاتهم السياسية و مرجعياتهم الفكرية و النظرية، و كانت البراغماتية هي التي تحكم السياسة الخارجية الأمريكية في حالة كان هناك تعارض بين توجهات صانع القرار مع مقتضيات الواقع العملي لهذه السياسة.

- رغم تعدد التعاريف التي قدمت حول مفهوم السياسة الخارجية وعدم الاتفاق أكاديميا على تعريف موحد، إلا أنه عند مقارنة هذه التعاريف بالواقع العملي نجد أن المكانة الدولية للدولة و الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها في محيطها الخارجي تؤثر بشكل كبير في تحديد مفهوم هذه الدولة لسياستها الخارجية، و هذا ما ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية في تعريفها لسياستها الخارجية و الذي يعكس مكانتها كقطب عالمي و طبيعة أهدافها الرامية إلى الهيمنة العالمية بعد الانتصار في صراع الحرب الباردة، و كان لك واضحا سواء من خلال وثائق استراتيجيات الأمن القومي الأمريكي أو من خلال واقع السياسة الخارجية الأمريكية.

- فيما يتعلق بدور المتغيرات النسقية الخارجية في تفسير السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي نجد أنه قد أدت حركية النظام الدولي كمتغير أساسي و أولي و ذلك من خلال تغير هيكل و بنية النظام الدولي من حيث نمط القطبية إلى هيمنة القطب الأمريكي الواحد، و بالتالي يفسر تعاطي هذا الأخير (القطب الأمريكي) مع الصراع العربي الإسرائيلي انطلاقاً من :

أ - مكانة الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي ، حيث استطاعت أن تفرض رؤيتها الخاصة التي تعتقد أنها تصب في إطار مصالحها القومية و مصالح حلفائها في الشرق الأوسط و العالم ككل ، على اعتبار أن السياسات الإقليمية و منها سياستها نحو الصراع العربي الإسرائيلي جزء من التوجهات العالمية الجديدة الآخذة في التوسع أكثر فأكثر في ظل زيادة هامش المناورة لأمريكا و حلفائها .

ب- السلوكات الخارجية السابقة للولايات المتحدة تجاه الصراع و التي تميزت بالدعم المطلق لإسرائيل مقابل تجاهل حقوق و مطالب الطرف العربي عموماً و الفلسطيني خصوصاً بحكم أنه هو من بقي في المواجهة المباشرة مع إسرائيل ، فقد استمرت هذه السياسة بعد الحرب الباردة بشكل أكبر نتيجة غياب الثنائية القطبية التي كانت قد عرفت نوعاً ما — وجود الاتحاد السوفييتي كداعم للطرف العربي في الصراع العربي الإسرائيلي، و من جهة أخرى زادت الطريقة التي انتهت بها الحرب الباردة من قوة الولايات المتحدة الأمريكية و هيمنتها على مجلس الأمن و مؤسسات الأمم المتحدة، حيث ساهم الفيتو الأمريكي باستمرار في إعاقة أي دور لهيئة الأمم من أجل المساهمة في تسوية الصراع العربي الإسرائيلي، و كانت الولايات المتحدة الأمريكية و مازالت تستعمل حق النقض لصالح إسرائيل، و إن حدث و سمحت بمرور بعض القرارات فإنها لا تكون ملزمة و إن كانت ملزمة فإن إسرائيل لا تمثل لأي قرار يتعارض مع مشاريعها في الأراضي المحتلة.

ج - أبرزت التفاعلات الدولية و الإقليمية المختلفة بما فيها تطورات الصراع العربي الإسرائيلي ، أنهما — أي هذه التفاعلات — تساهم في درجة اجتذاب الاهتمام الأمريكي تجاه الصراع ، بحيث كلما كانت تمثل تهديداً لمصالحها أو مصالح حلفائها زاد اهتمام

السياسة الخارجية الأمريكية بالتعاطي مع هذه التفاعلات بالطريقة التي تتماشى مع مصلحتها القومية، و قد لاحظنا ذلك في حالة حرب الخليج الثانية أين ظهرت حساسية الصراع العربي الإسرائيلي بالنسبة للمصالح النفطية الأمريكية، فهذا الأمر استدعى نوع من الحرج في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية من أجل حماية المصالح الأمريكية، و كذلك نشاط دبلوماسي أمريكي غير مسبوق — مقارنة بمسار عملية السلام من قبل — على طريق السلام العربي الإسرائيلي من طرف بوش و بيكر بعد حسم حرب الخليج، و بعد استقرار المصالح الأمريكية إلى حد كبير لاحظنا تراجع الاهتمام الأمريكي بالسلام العربي الإسرائيلي، كما كان هناك اجتذاب للاهتمام الأمريكي نتيجة وجود قضايا دولية أخرى خطير و حساسة على غرار قضية البوسنة التي تطلبت التدخل الأمريكي.

فالساسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى و قطب عالمي و حيد تتحكم فيها المصالح و الأهداف الاستراتيجية الكبرى، و بالتالي فإنه من وجهة نظر نسقية يمكن القول أن أي سياسة خارجية أمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي تتأثر بثبات أو تغير هذه المصالح التي توجد بدورها في البيئة النسقية الخارجية.

إضافة إلى أهمية هذه التفسيرات النسقية في دراستنا و مكائنها في فهم جانب مهم من السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي ، لاحظنا أن هذه الأخيرة لها كذلك مصادرها في النظام السياسي الداخلي و الحياة السياسية المحلية الأمريكية التي تُصنع في إطارها قرارات السياسة الخارجية قبل أن توجه إلى بيئتها التنفيذية، و في بلد ديمقراطي مثل الولايات المتحدة الأمريكية فإن دور العوامل الداخلية في تفسير بعض جوانب السياسة الخارجية يكون أكثر أهمية، و من خلال تعرضنا لدور محددات البيئة الداخلية في تفسير السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي يمكننا تأكيد النتائج التالية:

أ- أن استمرار النمط التفضيلي لإسرائيل في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، يفسر بالرجوع إلى دور الرئيس و الكونغرس و الجهات الضاغطة الداعمة لإسرائيل، و قد ساعد على ذلك طبيعة الحياة السياسية الداخلية في الولايات المتحدة التي تتميز بالانفتاح الشديد مما سهل لأعضاء اللوبي الإسرائيلي التغلغل و الوصول إلى عمق مراكز صناعة القرار الأمريكي.

ب- من خلال تتبعنا لتطورات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، وجدنا أنه غالباً ما كانت نوعية القادة السياسيين و التغيرات و العمليات السياسية الحاصلة على مستوى البيئة الداخلية الأمريكية مؤشراً كبيراً على طبيعة هذه السياسة من حيث زيادة الدعم لإسرائيل أو استقراره، أو من حيث أولوية الداخل على الخارج، أو من حيث الاهتمام و طبيعة التعاطي مع قضية الصراع العربي الإسرائيلي.

ج - أهمية المحددات الداخلية الأمريكية تزداد قيمتها التفسيرية بصفة خاصة إذا كان هناك تراجع في درجة اجتذاب البيئة الخارجية لصانعي القرار، و من ثم نؤكد صحة الفرضية التي تقول بأنه كلما تراجعت قيمة التفسيرات النسقية زادت قيمة التفسيرات الداخلية للسياسة الخارجية.

في نهاية المطاف بات واضحاً أن الفهم الجيد و التفسير العلمي الصحيح للسياسة الخارجية عموماً لا بد أن يركز على المزاوجة بين مستويات التحليل الخارجية و الداخلية ، لذا نقول أن تأثير التغيرات الدولية التي رافقت نهاية الحرب الباردة على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، يفسر لنا بعض مظاهر التغير التكميلي لهذه السياسة في إطار توجهاتها الاستراتيجية العالمية من أجل الحفاظ على المصالح التقليدية و المكانة الدولية الجديدة، بينما تُفسَّر بعض مظاهر الاستمرار في هذه السياسة بالرجوع إلى العوامل و المحددات الداخلية الأمريكية.

و يبقى الثابت - في ظل التغيرات الدولية المستمرة - هو استمرار انغماس الدبلوماسية الأمريكية في هذه القضية الشرق أوسطية المعقدة و التي مازالت تستعصي على الحل ، و ذلك رغم قصور هذه الدبلوماسية في إيجاد أي من الحلول العقلانية لإنهاء الصراع أو التخفيف من حدة المتزايدة.

